باب فى ثواب التوبة
وفيه من الأحاديث : سبعة

فصل فى التوبة

من نعم الله ﷻ على عباده ، ورحمته بهم ، أن شرع لهم التوبة من جميع الذنوب والخطايا ، ودعاهم إليها مهما كانت الذنوب والمعاصى ، وجعل هذا الباب مفتوحا إلى قيام الساعة. والتوبة من أهم قواعد الإسلام وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة ، وهى محبوبة مرضية عند الله ﷻ . ولا سبيل إلى الفلاح فى الدنيا والآخرة إلا بالتوبة .

وهى كما قال الحافظ ابن حجر : التوبة هي : الندم على الذنب ، مع الإقلاع عنه ، والعزم على عدم العود إليه [١] .

وقال ابن قيم الجوزية : التوبة هي : الندم على ما سلف منه فى الماضى ، والإقلاع عنه فى الحال ، والعزم على أن لا يعاوده فى المستقبل [٢] .

وقد ورد الأمر بالتوبة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فمما ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

[النور:٣١]

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ

(١) انظر : فتح البارى ١٢/ ٢٦٧.

(٢) انظر : مدارج السالكين ١/ ١٨٢.

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم:٨] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠] .

وقال ﷻ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

[المائدة:٧٤]

وقال ﷻ : ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ ﴾ .

[التوبة:٣]

وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ ﴾ [الرعد:٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١] .

وقال ﷻ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾

[مريم:٦٠]

وقال ﷻ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:٧٠] .

وقال ﷻ : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ .

[القصص:٦٧]

وقال ﷻ : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

[غافر:٣]

وقال ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

[الشورى:٢٥]

وقال ﷻ على لسان نبي من أنبياءه : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود:٣] .

وقال ﷻ على لسان نوح عليه السلام : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ .

[نوح:١٠ ـ ١٢]

وقال ﷻ على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود:٩٠] .

أما الأحاديث الدالة على الأمر بالتوبة فمنها :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ الله ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ** » (١) .

وعَنْ أَبِى مُوسَى عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ الله ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِىءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِىءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** » (٢) .

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : « **يَاعِبَادِى**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، توبة ٤/ ٢١٠٦ (٢٧٤٩) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب التوبة ، باب فى سعة رحمة الله تعالى ٤/ ٢١١٣ (٢٧٥٩) .

يبسط يده : قال المازري : المراد به قبول التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد ؛ لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله ، وإذا كرهه قبضها عنه ، فخوطبوا بأمر حسي يفهمونه وهو مجاز . ا.هـ. انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ٧٦ .

إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلاَ تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ ، يَاعِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ،يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلكِى شَيْئًا ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلكِى شَيْئًا ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ ، يَا عِبَادِى إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ » (١) .

وعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » (٢) .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « وَالله إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٤ (٢٥٧٧) .
إلا كما ينقص المخيط : قال العلماء:هذا تقريب إلى الأفهام ومعناه:لا ينقص شيئا أصلا كما قال في الحديث الآخر : لا يغيضها نفقة : أي : لا ينقصها نفقة ؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان لايتطرق إليهما نقص ، فضرب المثل بالمخيط في البحر ؛ لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة ، والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه ، فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا وأكبرها ، والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء . ا.هـ . انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٣٣ .

(٢) أخرجه الترمذى ، أبواب صفة القيامة ، باب حدثنا هناد ٩/ ٣٠٨(بشرح الإمام ابن العربى المالكى)
وقال الترمذى : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة » .ا.هـ .

إِلَيْهِ ، فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » (١) .

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ : سَمِعْتُ الأَغَرَّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ : تُوبُوا إِلَى الله ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي اليَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ » (٢) .

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تضمنت الأمر بالتوبة ، والحض عليها ، ودعوة الخاطئين إلى الرجوع إلى الله ﷻ الودود الرحيم التواب الغفور .

والمتأمل حياة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ، يجد أن التوبة كانت من ألزم اللوازم لهم ، فآدم أبو البشر يخدعه الشيطان ؛ فيستجيب لإغوائه ، ثم يتذكر معصيته لربه فيتوب إليه .

قال تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧] .

وموسى عليه السلام يسارع إلى التوبة من فعلته وتجرئه على ربه ، قال تعالى على لسان موسى : ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣] ،

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ٨/ ٨٣ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٤/ ٢٠٧٥ (٢٧٠٢) .

توبوا إلى الله : هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور:٣١] . وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨] .

قال ابن بطال : الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير .

وقال الغزالي : كان ﷺ دائم الترقي فإذا ارتقى إلى حال رأى ما قبلها دونها ، فاستغفر من الحالة السابقة وهذا مفرع على أن العدد المذكور في استغفاره كان مفرقاً بحسب تعدد الأحوال . ا.هـ .

انظر : فتح البارى ١١/ ١٠١ ، ١٠٢ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ٢٤ .

أي : أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة ، وقيل : أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا [(١)] .

ويونس يجأر بالتوبة إلى خالقه ومولاه آيبا راجعا متبتلا في عبادة ربه ، قال تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧ ـ ٨٨] .

ولقد قبل الله تعالى توبة الرسول ﷺ والمهاجرين لما حدث في غزوة العسرة ، قال الله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:١١٧] .

وقد أجمع العلماء على أن التوبة واجبة من كل ذنب. وأنها واجبة على الفور من جميع الذنوب ، صغيرها وكبيرها ، ما يعلم منها وما لا يعلم ، عمداً أو سهواً ، جداً أو هزلاً .

وهناك شروط لا تتم التوبة إلا بها . من أهمها :

١ – الإسلام : فالتوبة لا تصح إلا من مسلم ، أما الكافر فإن توبته تعني دخوله الإسلام.

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [النساء:١٨] ، أي : لا توبة لأولئك ولا لهؤلاء.

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٣/ ١٠٣ ، والدر المنثور ٣/ ٥٤٧ .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦] .

٢- الاعتراف بالذنب : ومما يشير لذلك قوله ﷺ لعائشة < في قصة الإفك : « أَمَّا بَعْدُ : يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله ، وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى الله ، تَابَ الله عَلَيْهِ » [(١)] .

٣- الرجوع والإقلاع عن الذنب : وهذا شرط أساسي للتوبة المقبولة ، فالذي يرجع إلى الله وهو مقيم على الذنب لا يعد تائباً ، ومن أعظم صور الإجابة الفورية ، والإقلاع عن المعصية ، ماكان من الصحابة رضوان الله عليهم لما علموا بنزول قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠] .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ : كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي : أَلَا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ ، قَالَ : فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا ، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا ، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ : قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ فَأَنْزَلَ الله : ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [المائدة:٩٣] [(٢)] .

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب التفسير (سورة النور) ٦/ ١٣٠ ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٤/ ٢١٣٥ (٢٧٧٠) .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب المظالم ، باب صب الخمر في الطريق ٣/ ١٧٣ ، وفى التفسير (سورة المائدة) ٦/ ٦٧ ، ومسلم ، كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب . ٣/ ١٥٧٠(١٩٨٠) .

=

٤- الندم على ما سلف منه في الماضي : الندم ركن من أركان التوبة لا تتم إلا به.

عَنِ ابْنِ مَعْقِلٍ قَالَ : دَخَلتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدالله ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **النَّدَمُ تَوْبَةٌ** » ، فَقَالَ لَهُ أَبِي : أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **النَّدَمُ تَوْبَةٌ ؟** » ، قَالَ : نَعَمْ [(١)] . ومعنى أنه توبة : أي عمدة أركان التوبة.

٥- العزم على التوبة وعلى ألا يعاوده في المستقبل : العزم مترتب على الندم ، وهو يعني الإصرار على عدم العود إلى الذنوب ثانية.

ويقول عزوجل حاكياً عن أبينا آدم عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه:١١٥] .

٦- رد المظالم إلى أهلها حتى يبرأ من حق صاحبها : فإن كانت مالا أو عقارا أو نحو ذلك ردّه لصاحبه ، إن كان موجودا ، أوأن يتحلله منه ، وإن كانت المظالم غير مادية كأن كانت غيبة أونميمة أوماشابه ذلك ، فيجب على التائب أن يطلب من المظلوم العفو عن ظلامته وأن يعمل على إرضائه ، وإن كان حد قذف ، أونحوه مكّنه من القصاص أوطلب عفوه. فحقوق الآخرين ، لا تسقط بأي حال من الأحوال إلا بالأداء ، أو إذا تنازل عنها صاحبها .

= خمرهم : أصل الخمر من المخامرة وهي المخالطة سميت بها لمخالطتها العقل . ومن التخمير وهو التغطية سميت بها لتغطيتها العقل ، الفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفضوخ من الفضخ وهو كسر الشيء الأجوف والبسر نوع من التمر ، فأهرقها : من الإهراق وهو الإسالة والصب وأصله الإراقة والهاء زائدة ، سكك : جمع سكة وهي الطريق ، وهي في بطونهم : أي ولم يمض على شربهم لها زمن طويل ، جناح : إثم ، طعموا : شربوا من الخمر قبل التحريم .

(١) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠ (٤٢٥٢) ، وفي الزوئد : « قلت: وقع عند ابن ماجه عبد الله بن عمر بن الخطاب . قال المنذري . وقال بعد ذلك : أي : كما رواه الترمذي وابن ماجه في سننه والحاكم في المستدرك » .ا.هـ .

وفي هذا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ » (١) .

وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْت رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ صَاحِبِ فَرَقِ الأَرُزِّ ، فَلْيَكُنْ مِثْلَهُ » ، قَالُوا : وَمَنْ صَاحِبُ فَرَقِ الأَرُزِّ يَا رَسُولَ الله ؟ ، فَذَكَرَ حَدِيثَ الغَارِ حِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الجَبَلَ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ : اذْكُرُوا أَحْسَنَ عَمَلِكُمْ ، قَالَ : وَقَالَ الثَّالِثُ : اللهمَّ إنك تَعْلَمُ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ عَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَّرْتُهُ لَهُ ، حَتَّى جَمَعْتُ لَهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا ، فَلَقِيَنِي فَقَالَ : أَعْطِنِي حَقِّي ، فَقُلْتُ : اذْهَبْ إِلَى تِلكَ البَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا ، فَذَهَبَ فَاسْتَاقَهَا » (٢) .

وعَنْ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ ، أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ ، فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ > ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا سَلَمَةَ ، اجْتَنِبْ الأَرْضَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الأَرْضِ ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » (٣) .

٧- أن تقع التوبة قبل الغرغرة : وقد أشارالقرآن الكريم إلى ذلك فقال ﷻ :

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ٨/ ١٣٨ .

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب البيوع ، باب في الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه ٣/ ٦٨٠ (٣٣٨٧)، والإمام أحمد فى المسند ٢/ ١١٦٠ وقال الألبانى : منكر بهذه الزيادة التى فى أوله وهو فى الصحيحين دونها .ا.هـ .

(٣) أخرجه البخارى ، كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ٣/ ١٧١ ، ومسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها٣/ ١٢٣١(١٦١٢) .
خصومة : نزاع حول شيء ، اجتنب الأرض : احذر أن تأخذ منها شيئا بغير حق أو لا تتعاطاها خوفا من أن تقع في ذلك ، قيد : قدر .

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:١٧، ١٨] .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ** » (١) .

يقول المباركفوري : أي : ما لم تبلغ الروح إلى الحلقوم يعني ما لم يتيقن الموت فإن التوبة بعد التيقن بالموت لم يعتد بها (٢) .

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ البَيْلَمَانِيِّ قَالَ : اجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِيَوْمٍ ، فَقَالَ الثَّانِي : أَأَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِنِصْفِ يَوْمٍ ، فَقَالَ الثَّالِثُ : أَأَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِضَحْوَةٍ ، قَالَ الرَّابِعُ : أَأَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ بِنَفَسِهِ** » (٣) .

٨- أن تقع التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها : قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ

---

(١) أخرجه الترمذى ، أبواب الدعاء ، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده ١٣/ ٥٨ (بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » .ا.هـ .

(٢) انظر : تحفة الأحوذى ٩/ ٣٦٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٣/ ٤٢٥ ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠ / ١٩٧ :«رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة » .ا.هـ .

ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، تَابَ الله عَلَيْهِ »[١] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »[٢] .

(١) سيأتي ذكره وتخريجه (١٠١٦) .
تاب الله عليه : أي : قبل توبته ورضي بها .
(٢) سبق ذكره وتخريجه قريبا .

ثواب التوبة النصوح

ومن الثواب المترتب على التوبة :

محبة الله ﷻ للتائبين :

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

تكفير السيئات ودخول الجنات :

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم:٨] .

أن الله ﷻ يبدل سيئات التائب حسنات جزاء له على توبته :

قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:٧٠] .

قال القرطبي : فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال ﷺ : « **أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** » (١) .

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ١٣ / ٧٨ ، والحديث أخرجه الترمذى ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في معاشرة الناس ٨/ ١٥٥ (بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .ا.هـ . عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : « **اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** » ، والإمام أحمد فى المسند ٥/ ٢٢٨ عَنْ مُعَاذٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ : « **يَا مُعَاذُ ، أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** » .

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ : اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ : عَمِلتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا ، وَعَمِلتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ. لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ : رَبِّ قَدْ عَمِلتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَا هُنَا » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ (١) .

رجوع الحسنات إلى التائب بعد التوبة :

(١١٤١) حَدَّثَنِى حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : أَخْبَرَنِى يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ : أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِى الجَاهِلِيَّةِ هَل لِى فِيهَا مِنْ شَىْءٍ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : « أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ » . وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ (٢) .

(..) وفى رواية أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ : أَىْ رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِى الجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ أَفِيهَا أَجْرٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ » (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٧٧ (١٩٠) .
النواجذ : جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب الزكاة ، باب من تصدق فى لشرك ثم أسلم ٢/ ١٤١ ، وفى البيوع، باب شاء المملوك من الحربى وهبته وعتقه ٣/ ١٠٧، وفى العتق ، باب عتق المشرك ٣/ ١٩٣ ، وفى الأدب ، باب من وصل رحمه فى الشرك ثم أسلم ٨/ ٧ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده ١/ ١١٣ (١٢٣) ، واللفظ له .

(٣) أخرجه البخارى فى المواضع السابقة ، ومسلم فى الموضع السابق ١/ ١١٤ (١٢٣) . =

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : لا مانع من أن الله يضيف إلى حسناته في الإسلام ثواب ما كان صدر منه في الكفر تفضلاً وإحساناً[١] .

أن التوبة تهدم ما كان قبلها :

(١١٤٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى العَنَزِىُّ ، وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِىُّ ، وَإِسْحَاقُ ابْنُ مَنْصُورٍ ، كُلُّهُمْ عَنْ أَبِى عَاصِمٍ ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ يَعْنِى أَبَا عَاصِمٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ : حَدَّثَنِى يَزِيدُ بْنُ أَبِى حَبِيبٍ ، عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِىِّ قَالَ : حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ العَاصِ وَهُوَ فِى سِيَاقَةِ الْمَوْتِ ، فَبَكَى طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا ؟ قَالَ : فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، إِنِّى قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّى ، وَلاَ أَحَبَّ إِلَىَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسْلاَمَ فِى قَلْبِى أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ ، قَالَ : فَقَبَضْتُ يَدِى . قَالَ : « **مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟** » ، قَالَ : قُلتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ ، قَالَ : « **تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ؟** » ، قُلتُ : أَنْ يُغْفَرَ لِى. قَالَ : « **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ** » . وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ

= أتحنث : قال أهل اللغة : أصل التحنث أن يفعل فعلا يخرج به من الحنث وهو الإثم ، وكذا تأثم وتحرج وتهجد أي : فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرج والهجود ، أسلمت على ما أسلفت من خير : قال ابن بطال وغيره من المحققين : إن الحديث على ظاهره ، وأنه إذا أسلم الكافر ومات على الإسلام يثاب على ما فعله من الخير في حال الكفر.ا.هـ . انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٤٠ ، ١٤١ .

(١) انظر : فتح البارى ٣/ ٣٠٢ .

ﷺ وَلاَ أَجَلَّ فِى عَيْنِى مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَىَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ، لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَىَّ مِنْهُ ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِى مَا حَالِى فِيهَا ، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلاَ تَصْحَبْنِى نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِى فَشُنُّوا عَلَىَّ التُّرَابَ شَنًّا ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِى قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا ، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي [١] .

فالتوبة تهدم ما كان قبلها إذا كملت شروطها : من الندم ، والإقلاع عن الذنب ، والعزيمة على عدم العودة ، ورد المظالم .

(١١٤٣) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله الرَّقَاشِيُّ، حَدَّثَنَا وُهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ مَعْمَرٌ ، عَنْ عَبْدِ الكَرِيمِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدالله ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ ، كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ** » [٢] .

وفى هذا ما يدل على أن التوبة مقبولة من أى ذنب كان ، وهى إن صحت وتحققت شروطها ترفع الذنب من صحيفة الأعمال ، ويصير المخلص فى توبته كمن لاذنب له .

قبولها وحصول المغفرة من الله ﷻ :

قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله ١/ ١١٢ (١٢١) .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ٢/ ١٤١٩(٤٢٥٠) ، قال السندي : الحديث ذكره صاحب الزوائد في زوائده وقال : إسناده صحيح . رجاله ثقات . ثم ضرب على ما قال . وأبقي الحديث على الحال . وفي المقاصد الحسنة : رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير البيهقي في الشعب ؛ من طريق أبي عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن أبيه . رفعه . ورجاله ثقات . بل حسنة شيخنا . يعني لشواهده . وإلا فأبو عبيدة جزم غير ولن يأتي ثم يسمع من أبيه » .ا.هـ .

ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].

(١٠٤٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ، ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، ح، وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ، ح، وَحَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ** »[(١)].

(..) وفي رواية قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، قُبِلَ مِنْهُ** »[(٢)].

(١١٤٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: « **أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٤/ ٢٠٧٦ (٢٧٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٧٥.

بِالذَّنْبِ ، اعْمَل مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ » [(١)] . قَالَ عَبْدُ الأَعْلَى : لاَ أَدْرِى أَقَالَ فِى الثَّالِثَةِ ، أَوِ الرَّابِعَةِ : « اعْمَل مَا شِئْتَ » .

قال القرطبي : يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه ، لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارناً للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم ، فهو ترجمة للتوبة [(٢)] .

(..) وفى رواية يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ : أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُالذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، فَغَفَرَ لَهُ ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ الله ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي » [(٣)] .

(..) وفى رواية عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا ، أَوْ قَالَ : عَمِلتُ عَمَلًا ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ : عَبْدِي عَمِلَ ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ ، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي عَمِلتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ ، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي عَمِلتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ، ومسلم كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة ٤/ ٢١١٢ (٢٧٥٨) ، اعمل ما شئت فقد غفرت لك : معناه : ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك .

(٢) نقله ابن حجر فى : الفتح ١٣/ ٤٧١ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٢/ ٤٠٥ ، وهو عند البخارى ومسلم .

بِهِ ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » .

(١١٤٦) حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ : أَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي الحَارِثِ قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَّا يُقَالُ لَهُ : أَيُّوبُ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ : مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَامًا ، تِيبَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ ، تِيبَ عَلَيْهِ ، حَتَّى قَالَ : يَوْمًا ، حَتَّى قَالَ : سَاعَةً ، حَتَّى قَالَ : فُوَاقًا ، قَالَ : قَالَ الرَّجُلُ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ مُشْرِكًا أَسْلَمَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا أُحَدِّثُكُمْ كَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ [(١)] .

(١١٤٧) حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ البَيْلَمَانِيِّ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ : مَنْ تَابَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِيَوْمٍ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ ، قَالَ : فَحَدَّثَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ آخَرَ بِهَذَا الحَدِيثِ فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ تَابَ إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِنِصْفِ يَوْمٍ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ** » ، قَالَ : فَحَدَّثَنِيهَا رَجُلٌ آخَرُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ تَابَ إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِضَحْوَةٍ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ** » ، قَالَ : فَحَدَّثَهُ رَجُلًا آخَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ نَفْسُهُ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ** » [(٢)] .

(..) وفى رواية قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٢/ ٢٠٦ ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠ / ١٩٧ : « رواه أحمد وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات » ا.هـ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٣٦٢ .

رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِيَوْمٍ قَبِلَ الله مِنْهُ » ، قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ رَجُلًاآخَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ ؟ قُلتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِنِصْفِ يَوْمٍ قَبِلَ الله مِنْهُ » ، فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ رَجُلًاآخَرَ فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ ؟ قُلتُ : نَعَمْ ، فَأَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِضَحْوَةٍ قَبِلَ الله مِنْهُ » ، قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ رَجُلًا آخَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ ؟ قُلتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ قَبِلَ الله مِنْهُ » [(١)] .

(..) وفى رواية عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْبَيْلَمَانِيِّ أَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ أَبِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ ، أَنَّهُ جَلَسَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ تَابَ الله عَلَيْهِ » ، فَقَالَ لَهُ آخَرُ : أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ ، قَالَ آخَرُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ ، تَابَ الله عَلَيْهِ » ، قَالَ آخَرُ : أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ ، قَالَ آخَرُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله ﷻ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ تَابَ الله عَلَيْهِ » ، قَالَ آخَرُ : أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ ، قَالَ آخَرُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَاعَةٍ تَابَ الله عَلَيْهِ » ، فَقَالَ آخَرُ : أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ ، فَقَالَ آخَرُ :

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٢٨٦ وسكتا عنه .

سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ تَابَ إِلَى الله قَبْلَ الغَرْغَرَةِ تَابَ الله عَلَيْهِ » [١] .

(١١٤٨) حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ سَهْلٍ الحَوْلانِيُّ ، ثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، ثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ الكَشِّيُّ ، ثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الوَاسِطِيُّ ، ثَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَا : ثَنَا ابْنُ جَابِرٍ ، ثَنَا عَبِيدَةُ بْنُ المُهَاجِرِ أَبُوعَبْدِ رَبِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى المِنْبَرِ يُحَدِّثُ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ رَجُلًا أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ فَأَتَى رَجُلا فَقَالَ : إِنَّ الآخَرَ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْساً كُلُّهُمْ يقتلها ظُلْمًا ، فَهَل لِي مِنْ تَوبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَتَلَهُ ، وَأَتَى آخَرَ فَقَالَ : إِنَّ الآخَرَ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ كلها ظُلْمًا ، فَهَل لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : إِنْ حَدَّثْتُكَ أَنَّ الله لاَ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ ، فَقَدْ كَذَبْتُكَ ، هَهُنَا مَكَانٌ فِيهِ قَوْمٌ يَتَعَبَّدُونَ فَائْتِهِمْ تَعَبَّدَ الله مَعَهُمْ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ ، فَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ ، فَاخْتَصَمَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَلائِكَةُ العَذَابِ ، فَبَعَثَ الله إِلَيْهِمْ مَلَكًا قَالَ : قِيسُوا بَيْنَ المَكَانَيْنِ فَأَيُّهُمْ كَانَ أَقْرَبُ فَهُوَ مِنْهُمْ ، فَوَجَدَهُ أَقْرَبُ إِلَى دَيْرِالتَّوَّابِينَ بِأُنْمُلَةٍ ، فَغَفَرَ لَهُ » [٢] .

(٠٠) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا أَبُوعَوَانَةَ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ المُغِيرَةِ الثَّقَفِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الأَسَدِيِّ ، عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ الحَكَمِ الفَزَارِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ يَقُولُ : كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، حَدِيثًا ، نَفَعَنِي الله مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي ،

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٢٨٧ وقال : « سفيان بن سعيد ﷺ و إن كان أحفظ من الدراوردي ، وهشام بن سعد ، فإنه لم يذكر سماعه في هذا الحديث من ابن البيلماني، ولا زيد بن أسلم، إنما ذكر إجازة و مكاتبة، فالقول فيه قول من قال: عن زيد بن أسلم ، عن البيلماني ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وقد شفى عبد الله بن نافع المدني، فبين في روايته عن هشام بن سعد أن الصحابي عبد الله ابن عمرو العاص { » .ا.هـ .وسكت عنه الذهبي .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير١٩/ ٣٦٩(٨٦٧) ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢١٢ : « رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي عبد رب وهو ثقة. ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك » .ا.هـ .

وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ، فَيُحْسِنُ الطُّهُور ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ الله ، إِلَّا غَفَرَ الله لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [آل عمران: ١٣٥] » [(١)] .

(..) وفى رواية قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ حَدِيثًا ، نَفَعَنِي الله بِمَا شَاءَ مِنْهُ ، وَإِذَا حَدَّثَنِي عَنْهُ غَيْرِي ، اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ حَدَّثَنِي ، وَصَدَقَ أَبُوبَكْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ، فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ ، قَالَ مِسْعَرٌ : وَيُصَلِّي ، وَقَالَ سُفْيَانُ : ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَيَسْتَغْفِرُ الله ﷻ ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ » [(٢)] .

كما أن من فضائل التوبة وثمارها :

منع العذاب في الدنيا : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣] .

الإمداد بالأموال والبنين وإنزال الغيث : قال الله ﷻ على لسان نبي من أنبياءه : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ .

[هود:٣]

وقال ﷻ على لسان نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح:١٠ـ ١٢] .

---

(١) سبق ذكره وتخريجه (١٢٧) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند١/ ٢ ، ٩ .

أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه ، كثر الرزق عليكم ، وأسقاكم من بركات السماء ، وأنبت لكم من بركات الأرض ، وأنبت لكم الزرع ، وأدرّ لكم الضرع ، وأمدكم بأموال وبنين ، أي : أعطاكم الأموال والأولاد ، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها [١] .

طهارة القلب وتنقيته : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : « **إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَة ، نُكِتَتْ فِي قَلبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وَتَابَ ، صُقِلَ قَلبُهُ ، وَإِنْ عَادَ ، زِيدَ فِيهَا ، حَتَّى تَعْلُوَ قَلبَهُ ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ الله** : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤] » [٢] .

قال المباركفوري : والمعنى : نظّف وصفّى مرآة قلبه ، لأن التوبة بمنزلة المصقلة ، تمحو وسخ القلب وسواده حقيقياً أوتمثيلياً [٣] .

أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده ، فرحًا يليق بذاته جل وعلا : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « **قَالَ الله ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَالله للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالفَلاَةِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ** » [٤] .

وفى رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ**

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٤/ ٤٢٥ .

(٢) أخرجه الترمذى ، أبواب التفسير ، باب ومن سورة ويل للمطففين ١٢/ ٢٣٤(بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .ا.هـ .

(٣) انظر : تحفة الأحوذى ٩/ ١٧٨ .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب فى الحض على التوبة والفرح بها٤/ ٢١٠٢ (٢٦٧٥) .

وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِى ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ : اللهمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ.أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ » (١) .

وفى رواية عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ ، أَوْ مَا شَاءَ الله ، قَالَ : أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي ، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ » (٢) .

وفرح الله تعالى بتوبة عبده ، يدل على فضل التوبة وشرفها ومنزلتها ، فعلينا جميعا أن نلبى دعوة الله تعالى ، وأن نتوب إليه توبة نصوحا ، ولا نيأس من رحمته ، ولو عدنا إلى الذنب مراتٍ ومرات ، وتكرر منا الوقوع فى المعاصى ، فلا نتردد فى الرجوع إليه ، فإنه تعالى يحب التوابين .

وقد نهى عباده الذين كثرت ذنوبهم وعظمت جرائمهم أن يحملهم ذلك على القنوط من رحمته وترك التوبة منها؛ فقال تعالى : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] .

وهناك أمور تعين على التوبة من أهمها :

* الإخلاص لله ﷻ والإقبال عليه : فإذا أخلص العبد لله ﷻ ، وصدق في طلب التوبة ، أعانه الله عليها ويسره لها ، وأمده بألطاف لا تخطر بالبال ، وصرف عنه

---

(١) أخرجه مسلم فى الموضع السابق ٤/ ٢١٠٤(٢٧٤٧) .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب الدعوات ، باب التوبة ٨/ ٨٤ ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها ٤/ ٢١٠٣ (٢٧٤٤) .

أفرح : أكثر رضا وقبولا ، منزلا : مكانا ، مهلكة : أسباب الهلاك من فقد الطعام والشراب مع بعد المسافة ، أرجع إلى مكاني : أي : وقد يئس واستسلم للمهالك .

الآفات التي تعترض طريق توبته.

* المجاهدة : قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

* قِصَر الأمل وتذكر الآخرة : عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ { قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ ، فَقَالَ : « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إذَا أَمْسَيْت فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْت فَلَا تَنْتَظِرْ المَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِسَقَمِك ، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك [(١)] .

* العلم : لأنه نور يستضاء به ، والعلم يشغل صاحبه بكل خير ويُشغله عن كل شر ، فإذا فقد العلم فقدت البصيرة. ومن العلم في هذا السياق العلم بعاقبة المعاصي وقبحها ورذالتها ، ودناءتها ، ومن العلم أيضاً أن يعلم بفضل التوبة والرجوع إلى الله ﷻ .

* مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار : لأن مصاحبة الأخيار تحيي القلب، وتشرح الصدر ، وتعين على الطاعة ، والأشرار على عكسهم ، ولهذا جاء في حديث الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً أنه لما أتى إلى الرجل العالم وسأله : هل له من توبة ؟ قال له : نعم ، ومن يحول بينك وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء [(٢)] .

* استحضار أضرار الذنوب والمعاصي في الدنيا والآخرة : فإن للذنوب والمعاصي أضراراً عظيمة، وعقوبات متنوعة ، سواء في الدنيا أو في الآخرة على

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » ٨/ ١١٠ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله ٤/ ٢١١٨ (٢٧٦٦) .

مستوى الأفراد أو الجماعات ، فَتَذكُّر هذه العقوبات والمثلات يدعو الإنسان للتوبة قبل حلول العذاب .

* الدعاء : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] .

ومن أعظم ما يُسأل الله ﷻ أن يوفقه للتوبة النصوح ، وأن يتقبل توبته .

وهناك أخطاء في باب التوبة يجب الحذر منها :

* تأجيل التوبة : فمن الناس من يدرك خطأه ويعلم حرمة ما يقع فيه ، ولكنه يؤجل التوبة ويسوّف فيها وهذا خطأ عظيم ؛ لأن التوبة واجبة على الفور ، بل إن تأخير التوبة ذنب يجب أن يستغفر منه .

* الغفلة عن التوبة مما لا يعلمه العبد من ذنوبه : وهذا من الأخطاء التي تقع في باب التوبة وقلّ من يتفطن لها.

* ترك التوبة مخافة الرجوع للذنب : يجب على المسلم أن يتوب إلى الله في كل وقت وحين ، فلربما أدركه الموت وهو لم ينقض توبته ، كما عليه أن يحسن الظن بربه ويعلم أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه .

* ترك التوبة خوفاً من لمز الناس : فمن الناس من تحدثه نفسه بالتوبة ولزوم الاستقامة ، ولكنه يخشى لمز الناس وعيبهم إياه ووصمهم له بالتشدد والوسوسة ، وهذا خطأ فادح؛ إذ كيف يقدّم خوف الناس على خوف رب الناس ، وكيف يؤثر الخلق على الحق ، فالله أحق أن يخشاه .

* ترك التوبة مخافة سقوط المنزلة وذهاب الجاه والشهرة .

* التمادي في الذنوب اعتماداً على سعة رحمة الله : يقول الله ﷻ : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠] .

* الاغترار بإمهال الله للمسيئين : عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:١٠٢] » (١) .

* اليأس من رحمة الله ﷻ : يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] .

ويقول ﷻ : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

* اليأس من توبة العصاة : عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَ « أَنَّ رَجُلاً قَالَ : وَالله لاَ يَغْفِرُ الله لِفُلاَنٍ ، وَإِنَّ الله تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِى يَتَأَلَّى عَلَىَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ؟ فَإِنِّى قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » ، أَوْكَمَا قَالَ (٢) .

* الشماتة بالمبتلَين : وأصل الشماتة أن يفرح بالمصيبة تنزل بغيره ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ ، فَيَرْحَمُهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ » (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب التفسير (سورة هود) ٦/ ٩٤، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٧ (٢٥٨٣) .

ليملي : ليمهل ، لم يفلته : لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه ، وكذلك : أي : كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب ، أخذ ربك : إهلاكه وعذابه ، أخذ القرى : أخذ أهلها .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب النهى عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى ٤ / ٢٠٢٣ (٢٦٢١) .

(٣) أخرجه الترمذى ، أبواب صفة القيامة ، باب حدثنا عمر بن إسماعيل ٩/ ٣١٢ (بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » .ا.هـ .

* توبة الكذابين : الذين يهجرون الذنوب هجراً مؤقتاً يتحينون الفرص لمعاودة الذنب .

* الاغترار بالتوبة : وهذا الغرور قد يصاحب بعض التائبين وكأن توبته قد قبلت ، وذنوبه قد محيت ، فيدفعه هذا الغرور إلى أن يقع في بعض الذنوب الأخرى .

أسأل الله ﷻ أن يمنّ علينا جميعاً بالتوبة النصوح .